

المؤرخ ابن اللعبيّة وكتابه في التاريخ (دراسة في النصوص التاريخية الشامية الأولى المعاصرة للغزو الفرنجي الصليبي)

عصام عقلة *

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة البحث في شخصية المؤرخ الشامي عبد المنعم بن حسن المشهور بابن اللعبيّة وكتابه في التاريخ، وتبيان أحواله الشخصية وثقافته، ومحاولة التعرف إلى كتابه في التاريخ من خلال التنقّب الباقية من كتابه في المصادر اللاحقة عليه، ودراستها لمعرفة النطاق الزمني والجغرافي لكتابه، والقضايا التي ناقشها، وموارده، ومنهجه، وقيمة كتابه للدراسات الشامية عموماً، وللدراسات الفرنجية الصليبية خصوصاً، ومدى الإضافة التي قدمها لتأريخ الفرنجة الصليبيين في بلاد الشام.

الكلمات الدالة: ابن اللعبيّة، تأريخ التاريخ، الفرنجة، بلاد الشام.

المقدمة

تعد دراسة النصوص التاريخية الأولى التي اعتنت بأخبار الفرنجة الصليبيين في الفترة الأولى لوجودهم في بلاد الشام بعد الحملة الفرنجية الصليبية الأولى (490-492هـ/1097-1099م) من الأولويات الأولى للمؤرخ المعتمدين بتاريخ هذه المدة الزمنية، وذلك لفهم طبيعة تصورات العرب المسلمين في بلاد الشام والجزيرة الفراتية عنهم في بدايات غزوه مناطق مختلفة من بلاد الشام والجزيرة الفراتية، وتأسيسهم لإمارات الرّها، وأنطاكية، وطرابلس، ومملكة القدس، إضافة لمعرفة أخبارهم، وأخبار العالم الإسلامي آنذاك، والتعرف إلى مدى غزوه لدى المسلمين، وكذلك محاولة التعرف إلى تلك المصادر الأولى التي يُعدّ معظمها الآن في عداد المفقود، ومعرفة مناهج مصنفها في مؤلفاتهم، ومصادرهم، وأساليب عرضهم لمادتهم بقدر ما تتيحها النقول الواردة عنهم في المصادر اللاحقة عليهم.

ويُعدّ في هذا الإطار كتاب ابن اللعبيّة من المصادر المهمة لتلك المدة الزمنية التي لم تحظ بالدراسة المنفردة حتى الآن، ولم يتطرق إلى دراستها تفصيلاً أيّ من الدارسين المحدثين عرباً أو غربيين، لا بل اقتصر الأمر على إشارات محددة في بعض المراجع التي لم تسبر حقيقة حياة ابن اللعبيّة، ولا كنه منهجه، ولا كتابه والتعريف به.

ولهذه الأسباب تأتي هذه الدراسة في محاولة منها لدراسة حياة ابن اللعبيّة، وكتابه في التاريخ، وتبيان نطاقه الجغرافي والزمني، ومنهجه في كتابة التاريخ، ومصادره في كتابه، ومتابعة ودراسة أهم التنقّب الباقية منه.

والواقع أن ابن اللعبيّة كان ضمن مجموعة من المؤرخين الذين أخرجتهم منطقة شمال بلاد الشام في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، واعتنوا بالتأريخ للمنطقة، وللفرنجة الصليبيين الغزاة لها، وكان من بينهم الجبريني (ت 504هـ/1110م) وهو مؤرخ حلبي له تعليق تاريخي ينتهي سنة 504هـ/1110م (العظيمي، 1948م، ص 147)، وابن أبي جرادة، علي بن عبدالله العقيلي الحلبي (ت 548هـ/1153م) مصنف كتاب تاريخ ملوك حلب (السمعاني، 1975م، ص 569-570؛ العريني، 1962م، ص 193)، والمؤرخ يحيى بن علي المعري المشهور بابن زريق (ت 509هـ/1115م) (السلفي، 1993م، ص 447)، والمؤرخ حمدان الأثاري (ت 542هـ/1147م) صاحب كتاب سيرة الإفرنج الخارجين إلى بلاد الإسلام (ابن ميسر، 1981م، ص 105) وغيرهم الكثير الذين يخرج تتبعهم البحث عن غاياته الأساسية (انظر حولهم: شاکر مصطفى، 1979م، ص 402-404).

وكان لتركز الكتابات التاريخية الشامية في شمال بلاد الشام، وخصوصاً حلب، أسباب عديدة لعل أبرزها تعرض شمال بلاد الشام، والشام عموماً للغزو الفرنجي الصليبي الاستيطاني منذ سنة 490هـ/1097م، وتأسيسهم إماراتي الرّها وأنطاكية في شمال

*أنجز هذا البحث خلال إجازة التفريغ العلمي الممنوحة لي من الجامعة الأردنية والتي قضيتها في جامعة الشارقة للعام الجامعي 2018/2019.

**قسم التاريخ، الجامعة الأردنية. تاريخ استلام البحث 2019/3/26، وتاريخ قبوله 2019/6/3.

بلاد الشام، وتوسعهما لتشمل العديد من مدن وقرى شمال بلاد الشام، وتهديدهم لحلب نفسها حيث أوشكت على السقوط بيدهم أكثر من مرة، ثم قيام حركة الجهاد الإسلامي ضدهم، وتركزها في حلب، مما كان عاملاً حاسماً في اهتمام علماء شمال الشام بالتاريخ، وتصنيفهم للعديد من المصنفات فيه (انظر عن الحملة الفرنجية الصليبية الأولى ورد الفعل عليها: ابن القلانسي، 1983م، ص 195؛ العظيمي، 1984، ص 353؛ ابن العديم، 1954، ج2، ص 100 وما بعدها).

اسمه ونسبه وأسرته:

خلت معظم المصادر الإسلامية من ترجمة لابن اللعبيّة مما أفقدنا جُل المعلومات عن حياة ابن اللعبيّة، وأسرته، وتاريخ ولادته، لا بل وحتى تاريخ وفاته، وفقدت ترجمته من تاريخ ابن العديم المسمى بغية الطلب في تاريخ حلب ضمن ما فقد من الكتاب، إذ وصلنا من الكتاب ربعة فقط، وهو أهم كتاب في أخبار شمال بلاد الشام، وكانت في ترجمته لو وصلتنا معلومات مهمة عن ابن اللعبيّة، لذلك لم أجد له سوى ترجمة واحدة قصيرة وفقيرة في المعلومات وجاءت بشكل مختصر جداً عند ابن عساكر. ولهذا فإن المعلومات عن ابن اللعبيّة في المصادر العربية الإسلامية شحيحة جداً، وسأحاول استنطاقها بما يعطي صورة لو بسيطة عنه.

ولد أبو الفضل عبد المنعم بن الحسن بن الحسين الحلبي المشهور بابن اللعبيّة (ابن عساكر، 1995م، ج37، ص 185؛ ابن العديم، 2016م، ج10، ص 364) في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي على الراجح؛ وذلك لأنه يؤرخ لحوادث سنة 503هـ/1109م وهو كبير مميز لما يروي (ابن العديم، 2010م، ص 61)، ولا توجد لدينا معلومات عن نشأته وأسرته سواء والده أو والدته أو إخوانه أو أقرائه، وكذلك لا توجد لدينا أي معلومات عن زوجاته أو أولاده سوى معلومة وحيدة أوردها ابن اللعبيّة نفسه تخص وجود ولد له خلفه في حمص، وأن هذا الولد الذي لم يذكر اسمه كان في سنة 519هـ/1129م ينوب عن والده في حفظ الأهراء (مخازن الدولة) بحمص، ممّا يدلّ على أنه كان يتجاوز العشرين من عمره حتى يتركه وحيداً في حمص، ويجعله نائباً له على مخازن الدولة في حمص (ابن العديم، 2010م، ص 62)، وهي رواية تعزز ما رجحناه سابقاً من أن عبد المنعم ابن اللعبيّة من مواليد النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، والآ كيف يكون له ولد في حدود عمر العشرين سنة 519هـ/1125م، ممّا يعني أنه كان في سنة 499هـ/1105م أو 500هـ/1106م متزوجاً وله أولاد، وهو لا يمكن أن يكون في ذلك الوقت إلا في حدود العشرين أو أقل قليلاً في تلك السنة. واشتهر باسم ابن اللعبيّة بعض الأشخاص منهم: الحسن بن علي بن إبراهيم الجويني الشهير بابن اللعبيّة (ت 586هـ/1190م)، وهو لا علاقة له بمؤرخنا سوى تشابه اللقب لأن هذا عراقي بغدادي (الصفدي، 2000م، ج11، ص 286)، وكذلك الشاعر الرضي أبو الرضا بن اللعبيّة الحلبي المتوفى في أواخر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي (ابن العديم، 2016م، ج10، ص 326) الذي هو قطعاً من أسرة مؤرخنا لكن لا نعرف ما درجة قرابته له، أو ما صلته به، إذ أن ترجمته الوحيدة في ابن العديم لا تسعف في هذا الإطار.

ما عدا هذه المعلومات لا نعرف أي معلومة عن نشأة ابن اللعبيّة أو علومه التي تعلمها، وإن كانت علومه التي أتقنها - فيما بعد - تعطي فكرة عن التعلم الذي تلقاه في طفولته وشبابه، ولم تحاول المصادر التي ذكرت ابن اللعبيّة تقديم سبب لهذا اللقب له ولأسرته، ولكن يبدو أن أسرته سميت بهذا اللقب لأن أحد أفرادها كان يعمل في صناعة لعب الأطفال حيث أن معنى الكلمة في المعجم هو التمثال الصغير الذي يلعب به (دوزي، 1999م، ج9، ص 247). وهذا أمر ليس قطعياً، ولكن لم أجد ما يفسر اللقب سوى هذا الأمر.

الأمر الآخر المعروف عنه أنه ينتمي لأسرة حلبيه معروفة في الشمال الشامي، وبالتالي نرجح أن تكون مدينة حلب مكان ولادته وسكنه ووفاته، لاشتهاره وأسرته بلقب الحلبي (ابن عساكر، 1995م، ج37، ص 185).

ثقافته وعلومه:

رغم ندرة المعلومات عنه إلا أن في ترجمته التي قدمها ابن عساكر نقلاً عن الأديب محمد بن المحسن بن أحمد السلمي الدمشقي المعروف بابن المَلحي (ت 547هـ/1152م) (ابن القلانسي، 1983م، ص 494؛ سبط ابن الجوزي، 2013م، ج20، ص 450؛ الذهبي، 2003م، ج11، ص 913؛ الدعجاني، 2004م، ج3، ص 2222) في كتابه: "تسمية من اجتمع به بدمشق من أهل الأدب" (ابن عساكر، 1995م، ج37، ص 184؛ الدعجاني، 2004م، ج3، ص 2222) إذ يذكره متقناً لمجموعة من

العلوم تدل على ثقافته، فوصف بالمحب للأدب، وأن نصيبه منه وافر (ابن عساكر، 1995م، ج37، ص 185) مما يدل دلالة واضحة على تلقيه علوماً في سن مبكرة في اللغة، والنحو، ورواية الشعر، وهو أمرٌ طبيعي إذ ولد وعاش في حلب التي كانت تعج بعلماء الأدب والنحو، واللغة والشعر في القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين. لذلك اشتهر بقدرته الفائقة على النظم والنثر (ابن عساكر، 1995م، ج3، ص185) مما يدل على تلقيه تعليماً عالياً في اللغة والخطابة، وأنه كان لديه استعداد فطري واضح لإتقان الشعر ونظمه، حتى وصف أيضاً بأنه سريع الخاطر في النظم والنثر (ابن عساكر، 1995م، ج37، ص185)، ومن الأمثلة على شعره، غزله في صبي اسمه حسن:

أيا حسناً وجهه كاسمه ويا طلعة البدر في تمه
ويا ظالمًا أنا عبدٌ له ولا أتشكاه من ظلمه
فلا يعجل الناس في حربه فإن السلامة في سلمه (ابن عساكر، 1995م، ج37، ص 185)
وقوله أيضاً:

قبلت أثر مطاياهم لتشفيني يوم الرحيل وهل يشفي الجوى العفر
ثم انثيت من الأشجان منطويا على ما أثر في قلبي لها أثر (ابن عساكر، 1995م، ج37، ص 185).
والواضح أنه اقتصر أغراضه الشعرية على الغزل والوصف، ولم يقدّم بمدح أحد من ملوك وأمراء عصره، وهو الأمر الذي جعل المصادر لا تورد له أي مقطوعة شعرية- ما خلا ابن عساكر وابن العديم - لا بل إن العماد الأصفهاني في كتابه خريدة القصر، قسم الشام، لم يذكره مطلقاً، مما يعني أنه لم يشتهر بالشعر في زمان العماد، أو أن انتقاء العماد لكبار الشعراء أبعد عن كتابه هذا. ومن العلوم التي أتقنها ابن اللعبيبة فن الموسيقى والتلحين، بحيث وصفه ابن الملحي بقوله "له في الموسيقى يد جيدة طويلة، ويلحن شعره، ويغني به لنفسه (ابن عساكر، 1995، ج37، ص 185)، وهو الأمر الذي يعني أنه تلقى تعليماً وتدريباً موسيقياً عالياً سواء بالعزف على بعض الآلات، أو بمعرفة الألحان ومقاماتها في عصره، ويبدو أنه كان يمتلك صوتاً جميلاً مكنه من الغناء، وإن أكد ابن الملحي على أنه لا يلحن سوى شعره، ويقصر في الغناء على نفسه، بمعنى أنه لم يحترف التلحين والغناء، وإنما اكتفى به لشعره ولذاته، وحتى يتمكن من مثل هذا الأمر لا بد له من قراءة كتب الموسيقى، وتلقي معارفه العلمية على يد معلم، للأسف لم تذكر المصادر من هو الذي علمه فنون الموسيقى.

ومن المؤكد أيضاً أن ابن اللعبيبة اطلع على بعض كتب التاريخ لذلك جاء اهتمامه به كبيراً، وقام بتصنيف كتاب فيه، وكذلك اطلع على كتب الأدب، وهو واضح في ثقافته، كما حضر الكثير من مجالس الأدباء والشعراء، فنقل عنهم، هو ما سيوضح في عنوان كتابه في هذا البحث.

وأخيراً يبقى فن أخير أتقنه، ومهارة تعلمها، وهي غريبة قليلاً على أديب وشاعر وموسيقي، ألا وهي فن الرمي على المنجنيق، والفروسية، ويبدو أنه شارك ببعض المعارك، وثبتت بها شجاعته، وإلا لما وصفه ابن الملحي بقوله: "مائل إلى الشجاعة، ومعان بها حتى إنه يرمي عن المنجنيق، وبضاهي فيه كل عريق" (ابن عساكر، 1995م، ج37، ص 185)، وهو وصف لا يمكن أن يصدر عن ابن الملحي إلا إن اختبره به، أو أخبره به من شاهده يقوم به، وهذا الأمر غريب، فإن كانت الشجاعة والفروسية غير غريبة على أسر حلب وكورها في ذلك الوقت، لكثرة الحروب التي وقعت في المنطقة، ولتعرض حلب لهجوم فرنجي صليبي متكرر عليها، وكثرة تعرضها للحروب قبل الغزو الفرنجي الصليبي، فإن إتقانه للرمي عن المنجنيق يبدو غريباً؛ لأنه يتطلب علماً به، ثم تدريباً عليه، وهذا الأمر يحتاج للتدريب ضمن جيوش حلب، فهل استغل ابن اللعبيبة مكانته كشاعر وأديب، ودخل في صفوف جيش حلب متدرباً على المنجنيق أو تدرب عليه في إماراته العربية الصغيرة مثل إمارة بني منقذ في شيزر، أو إمارة قلعة جعبر، لا نستطيع الجزم بهذا الأمر، لكنه يدل على تعدد علومه وفنونه، وانشغاله بالدفاع عن بلده لكثرة ما تتعرض له من أخطار.

وبالتالي، نخلص إلى أن ثقافة ابن اللعبيبة كانت واسعة، ومتعددة المعارف، وأنها لم تخرج عن الثقافة السائدة في مدينة حلب في القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، وبالتالي نستطيع القول أن ابن اللعبيبة كان متمهماً مع ثقافة عصره الحلبية.

حياته وزياراته:

لم تسعنا المصادر بمعلومات ذات قيمة عن حياته، غير أن النقف الباقية من كتابه تشعر بأنه كان صاحب ثروة ومكانة في

مجتمع حلب، ومجتمع شمال ووسط الشام، وهو واضح من سلسلة علاقاته، إضافة إلى توليه أعمالاً إدارية في حلب وحمص، إذ تولى في حلب أعمال جبل السَّمَّاق القريب من حلب، وكان ذلك في سنة 1125/هـ/519م كما نصَّ هو على ذلك، إذ قال: "ونحن نتصرف في جبل السَّمَّاق" (ابن العديم، 2016م، ج10، ص364)، وتولى - كما أسلفنا - الأهراء (مخازن الدولة) في حمص، وذلك سنة 1123/هـ/517م، واستمر بها إلى سنة 1125/هـ/519م، وكانت حمص مستقلة تحت حكم صمصام الدولة خيرخان بن قراجا التركي (انظر عنه: ابن القلانسي، 1983م، ص232)، وهي وظيفة مدنية تدل على انخراطه بالإدارة المدنية، وتقله بين إمارات شمال ووسط الشام، ومدى السمعة الطيبة التي تركها ليتمكن من تولي وظيفة في إمارة حمص، وأخرى في إمارة حلب في الوقت نفسه.

وما خلا هاتين الإشارتين الداليتين والمهمتين، لا يوجد لدينا أي معلومات أخرى عن حياته أو وظائفه التي تولاهما، لا بل وتتقطع النقط المنقولة عنه بعد سنة 1125/هـ/519م، فلا نصل إلى أي معلومات عنه سوى معلومة إشكالية سنناقشها في عنوان وفاته، ولكن تلك الإشارات تدل على مكانة سامية له في مجتمع حلب وجوارها.

وأما عن الجغرافيا التي تنقل بها ابن اللعينة، وأسفاره، فالواضح أنه قام من حلب بزيارة لحمص سنة 1123/هـ/517م، إذ تولى بها الأهراء، وروى من أخبار قاضيهما السديد جمال القضاة أبو الحسن علي بن هندي (ت بعد 1126/هـ/520م) روايات مهمة ودالة على حمقه، وقلة معرفته (ابن العديم، 2010م، ص61)، والتقى فيها بعض رجالات حاكمها صمصام الدولة خير خان، وخصوصاً حاجبه إبراهيم (ابن العديم، 2010م، ص62) الذي لا نعرف عنه أي معلومات أخرى، وانتقل بعدها - فيما نرجح - إلى دمشق، وكان ذلك في حدود سنة 1124/هـ/518م، وبها التقى الأديب ابن الملحي (ابن عساكر، 1995م، ج3، ص85)، وزار الجزيرة الفراتية في سنة 1121/هـ/515م، والتقى بعض علماء الأدب بها، وروى بها روايات تتعلق بأخبار وأشعار علماء الأدب بها (ابن العديم، 2016م، ج9، ص451). كما زار بغداد، وأرجح أن تلك الزيارة تمت بعد زيارته للجزيرة، وأنها كانت في حدود سنة 1121/هـ/515م أو 1122/هـ/516م؛ لأنه روى فيها عن الشيخ أبي الحسن علي بن إبراهيم الناطلي الذي توفي سنة 1123/هـ/517م (ابن العديم، 2016م، ج9، ص508؛ ابن ناصر الدين، 1993م، ج1، ص313)، وهذه الزيارات تدل على كثرة تنقلاته وأسفاره، وطلبه للعلم والأدب، وكانت إحدى موارده الأساسية التي اعتمد عليها في كتاباتها التاريخية، كما زادت من ثقافته وعلومه.

ويبدو أنه بعد سنة 1125/هـ/519م الذي تتقطع أخباره بعدها، وتتقطع النقول في المصادر الأخرى التي تنقل من كتابه بعدها، تعرض لمحنة معينة جعلته يبتعد عن الأعمال، أو أنه توفي بعدها، ولعل ما يؤشر إلى تعرضه لحدث معين بعدها، ما نقله ابن عساكر، وابن العديم عن أنه رأى في منامه شيخاً يعرفه، وأنه أنشده شعراً:

مهلاً أبا الفضل لا تضرع إلى أحدٍ واقنع فأنت وذو الإكثار أكفاءً

صنْ ماءً وجهك واكفف عن إراقته لظاهر اللؤم ما في وجهه ماءً (ابن عساكر، 1995م، ج37، ص185؛ ابن

العديم، 2016م، ص239).

وهي أبيات تدعوه لعدم التوسل بأحد، وصيانة ماء الوجه، مما يدل على أنه تعرض لمحنة معينة كانت تدعوه إما للصبر والفقر، أو لإراقة ماء الوجه والتضرع لرفع المحنة، واختار فيما يظهر الصبر؛ لأنه هو من يروي مثل هذا الخبر، فهل لهذه المحنة علاقة بتولي عماد الدين زنكي حلب، وتغيير الكثير من قياداتها، وملاحقته لبعض أهل حلب سواء العاملين مع الحكام قبله، أو من المعتنقين للمذهب الشيعي، وكان هذا المذهب منتشرًا إلى درجة ما في حلب وجوارها، لا ندري أيهما الصواب، غير أن هذا الشعر يؤكد حدوث أمر لابن اللعينة انقطعت بعده أخباره، والنقول عنه في كتبه، وهو أمر نرجح به إما دخوله في عزله ناتج عن المحنة، أو وفاته أثر هذه المحنة.

وفاته:

لم أجد أي ذكر لتاريخ وفاة عبد المنعم بن اللعينة في المصادر التي ذكرته أو نقلت من كتابه، وذكرنا سابقاً أن آخر إشارة إلى نقول من كتابه كانت في سنة 1125/هـ/519م، وهو الأمر الذي يوحي أنه أنهى كتابه في ذلك التاريخ، والذي يعزز هذا الأمر أن مؤرخ الشام، وعالمها الأبرز ابن عساكر (ت 1175/هـ/571م) لم يشاهده، ولم يدركه، ولما نقل عنه رواية من غير طريق ابن الملحي، نقلها بإسناده إلى روايين إليه (ابن عساكر، 1995م، ج37، ص185)، إذ قال: "حدثنا أبو الخير صالح بن إسماعيل بن محمد الخوارزمي، أنا أبو عبد الله الحسين بن نصر بن محمد بن خميس الموصلي بقراعتي عليه بها قال: حكى عن أبي الفضل عبد المنعم بن الحسن بن لعينة" (ابن عساكر، 1995م، ج37، ص185)، فإذا عرفنا أن صالح بن إسماعيل (ت

1159/هـ/554م) زار دمشق سنة 549هـ/1154م، وزار قبلها الموصل ليصل إليها تبين أن ابن اللعبيبة لم يكن حياً في هذا التاريخ إذ أن زيارته للموصل ثم حلب ثم دمشق تؤكد أنه دخل حلب، ولم يجد بها ابن اللعبيبة ليؤكد عنه الرواية (عقلة، 2017م، ص 13)، وإذا علمنا أن ابن عساكر غادر دمشق سنة 520هـ/1126م وعاد إليها سنة 525هـ/1130م، ثم غادرها سنة 529هـ/1134م، وعاد إليها سنة 533هـ/1138م، ولم يشاهد ابن اللعبيبة مما يعني أن ابن اللعبيبة توفي قبل سنة 533هـ/1138م، لذلك لم يتمكن ابن عساكر من مشاهدته، وتدوين الأخبار عنه مباشرة، لذلك نرجح أن ابن اللعبيبة توفي ما بين 523هـ/1129م وسنة 533هـ/1138م، وهو الأمر الذي تؤكدته الإشارات المذكورة آنفاً.

ولكن يبقى خبر إشكالي أورده ابن العديم يتعلق بأبي الكرم بن الوزان الشريف الحلبي الذي انفرد بذكره ابن العديم، وقال: قرأت بخط ابن اللعبيبة أنشدني الشريف أبو الكرم بن الوزان الحلبي ببغداد في المحرم سنة خمس وخمسين وخمسمائة (ابن العديم، 2016م، ج1، ص 425)، وهو خبر يشير إلى أن ابن اللعبيبة كان حياً سنة 555هـ/1160م، وأشار محقق الكتاب أن هذا الزمن جاء على حاشية الكتاب، مما يجعل الشك بدقة الزمن عالياً، لذلك فالراجح أنه تصحيف من ناسخ المخطوط لسنة 515هـ/1121م التي زار بها ابن اللعبيبة بغداد كما أوردنا في عنوان زيارتها، وهو الراجح؛ لأن الخبر لو صح لكانت زيارة ابن اللعبيبة ببغداد، وقد تجاوز من العمر الخامسة والثمانين، وهذا أمر مستبعد جداً، لذا أميل إلى ترجيح تصحيف التاريخ، وهو أمر ممكن عند النساخ. وبناء على ما سبق، نخلص إلى أن وفاة ابن اللعبيبة كانت بين سنوات 523هـ/1129م و 533هـ/1138م للأدلة التي ذكرناها سابقاً، ولعدم وجود ما يؤكد غير هذا الذي نرجحه في تاريخ وفاته.

تاريخ عبد المنعم بن اللعبيبة:

لم تورد المصادر التي بين أيدينا أي مصنف لعبد المنعم بن اللعبيبة سوى كتاب في التاريخ أورد ابن العديم نقولاً عنه دون أن يسميه، وكان المصنف الوحيد الذي ذكر قيام عبد المنعم بن اللعبيبة بتصنيف كتاب، واقتصر ابن العديم على النقل عنه دون أن يسمي الكتاب، وذلك بقوله: "ونقلت من خط عبد المنعم بن الحسن بن اللعبيبة الحلبي" (ابن العديم، 2016م، ج4، ص 557)، وقوله: "قرأت بخط عبد المنعم بن الحسن بن اللعبيبة في دستور جمعه" (ابن العديم، 2016م، ج5، ص 615)، وكرر أكثر من مرة "قرأت بخط عبد المنعم" (ابن العديم، 2016م، ج9، ص 451، 508؛ ابن العديم، 2016م، ص 61، 62، 63)، وقال أيضاً: "نقلت من خط عبد المنعم بن الحسن بن الحسين بن اللعبيبة الحلبي في مجموع له علق فيه فوائد" (ابن العديم، 2016م، ج10، ص 364)، وبالتالي أشار إلى الكتاب بثلاث طرق مختلفة، وربما يكون ابن العديم قد أشار إلى كتابه في ترجمته المفقودة لعبد المنعم حيث أن هذه الترجمة من المفقود من كتاب ابن العديم، أو ربما أشار له عند أول نقل عنه في كتابه، وهو ربما يكون أيضاً ضمن المفقود من كتاب ابن العديم.

وما عدا إشارة ابن العديم، فلم يشر أحد من المصنفين المسلمين المعاصرين لعبد المنعم بن اللعبيبة أو اللاحقين عليه إلى قيامه بتصنيف كتاب مطلقاً، فابن عساكر في ترجمته لابن اللعبيبة لم يشر إلى تصنيفه لأي كتاب، وربما يكون هذا منطقياً؛ لأنه لم يطلع على الكتاب، ولم يشر إليه كمصدر من مصادر كتابه تاريخ دمشق، وكذلك لأنه اعتمد في الترجمة له على ما نقله من كتاب ابن الملحي: "تسمية من اجتمع به بدمشق من أهل الأدب" حيث ركز ابن الملحي على أدب الذين ترجم لهم شعراً ونثراً لا مصنفات، وبالتالي لم يكن من اهتماماته تدوين مصنفات أصحاب تراجمه.

ويبدو أن كتاب عبد المنعم بن اللعبيبة لخصوصيته المتعلقة بحوادث حلب وشمال بلاد الشام لم يشتهر بين الدارسين في عصره، ولم يطلع عليه سوى ابن العديم لقيامه بالتأريخ لحلب وشمال الشام بشكل تفصيلي، ويبدو أنه اطلع على نسخة عائلية محفوظة لدى أسرة ابن اللعبيبة بخطه، مما يدل على أن الكتاب لم ينسخ عنه نسخ أخرى، ولم يشتهر.

ولذلك السبب لم يرد كتاب ابن اللعبيبة في الكتب المعاصرة له أو اللاحقة عليه سواء كتب التاريخ أو التراجم، أو حتى الكتب التي اعتنت بالمصنفات مثل كتاب الدر الثمين في أسماء المصنفين لعلي بن أنجب المعروف بابن الساعي (ت674هـ/1275م)، وكتاب كشف الظنون لحاجي خليفة (ت1067هـ/1657م)، وكتاب هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا البغدادي (ت1920م).

وأما المؤرخون المحدثون، فلم يعتن أيضاً بذكر ابن اللعبيبة وتصنيفه لكتاب أي مرجع حديث اطلعت عليه سوى كاهن في كتابه *La Syrie du Nerd, Institut de Damas*، حيث ذكره شاعراً ومؤرخاً، وتحدث عن قيامه بعمل مجموعة من النصوص استخدمها ابن العديم (Cohen, 1940, p. 41)، وذكره أيضاً شاكر مصطفى في حديثه عن المدرسة التاريخية الشامية، وقرر أنه صنف كتاباً لا نعلم عنوانه، وكرر كلام كاهن السابق (شاكر مصطفى، 1979م، ص 402).

ما عدا هذين الباحثين لم يتطرق أحد لذكره من الباحثين المحدثين، وخصوصاً بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي، ولا فؤاد سزكين في كتابه تاريخ التراث العربي، ولا غيرهما ممن اعتنى بالمخطوطات العربية، أو المصنفين العرب عبر العصور، ولا الدارسين للمدرسة التاريخية الشامية سوى من ذكرنا.

وبالتالي فإن الذي نخلص إليه من إشارات ابن العديم، وما سبق من تعليقات أن عبد المنعم بن اللعبيّة صنف كتاباً في التاريخ، لم نستطع الوصول إلى اسمه الدقيق الذي أطلقه على مصنفه، وربما - وهو المرجح - أن عبد المنعم لم يطلق اسماً خاصاً على كتابه الذي سماه ابن العديم (مجموع) مرة و(دستور) مرة أخرى، وهما كلمتان عند ابن العديم دالتان على مصنف دون أن يسميه، أو أن عبد المنعم سمى دستوره أو مجموعته باسم التاريخ على عادة الكثير من المؤرخين السابقين له أو اللاحقين عليه، أو أن الكتاب كان ذليلاً على كتاب سابق، إذ أنني أرجح أن كتاب عبد المنعم بن اللعبيّة كان ذليلاً على ذيل أبي غالب همام بن الفضل بن جعفر ابن علي بن المهذب (ت حدود 490هـ/1086م) (انظر عن كتابه: عباس، 1998م، ص 93) الذي ذيل به على كتاب جد والده علي بن المهذب (ت 387هـ/997م) (انظر عنه، شاعر، 1979م، ص 429) وهو الكتاب الذي أضحى الأساس المعرفي التاريخي في شمال بلاد الشام، ويدل على ذلك اعتناء معظم مناطق شمال الشام به، واحتفاظهم بنسخ منه، وقيامهم بالتدبير عليه (ابن عساكر، 1995م، ج 11، ص 426؛ شاعر، 1979م، ص 429-450؛ عباس، 1998م، ص 43؛ عقلة، 2014م، ص 28-29، 38)، والذي يدفني إلى هذا الاعتقاد أن معظم الذين أروخوا في هذه الفترة في الشمال الشامي قاموا بالتدبير إما على كتاب علي بن المهذب، أو كتاب الذيل لحفيد ابنه أبو غالب همام بن الفضل، ولما كانت البقايا من كتاب عبد المنعم بن اللعبيّة لا تتداخل مع ذيل أبي غالب همام إلا في القليل، أرجح أنه قام بالتدبير على ذيل أبي غالب، وإكمال السنوات التي لم يؤرخ لها أبو غالب لوفاته.

بقايا كتاب عبد المنعم بن اللعبيّة:

يعدّ كتاب ابن اللعبيّة من المفقود من تراثنا العربي الإسلامي حالياً، غير أن ابن العديم قام بنقل نصوص عنه في كتابه بغية الطلب، والتذكرة، وبلغت تلك النقول تسعة نصوص، تراوحت بين نصوص طويلة، ونصوص متوسطة، وتضمنت الحديث عن شمال الشام، وحوادثه السياسية، والعسكرية، والإدارية، ونصوص أدبية لعلماء الشام أو لأدباء لنصوصهم علاقة بشمال الشام. وهذه النصوص التسعة الباقية لا يمكن أن تكون نتاج ابن اللعبيّة، ولكن فقدان معظم كتاب بغية الطلب أفقدنا الكثير من النقول عنه، لذلك فإن هذه البقايا تمثل عينة من كتاب ابن اللعبيّة يمكن أن تصلح لدراسة كتابه.

ومن تتبّع النصوص الباقية تبين أنها شملت سنوات 476هـ/1083م (ابن العديم، 2016م، ج 9، ص 508)، وسنة 486هـ/1092م (ابن العديم، 2016م، ج 5، ص 645)، وسنة 503هـ/1109م (ابن العديم، 2010م، ص 61)، وسنة 515هـ/1121م (ابن العديم، 2016م، ج 10، ص 42، ج 9، ص 415)، وسنة 517هـ/1123م (ابن العديم، 2010م، ص 61)، وسنة 518هـ/1124م (ابن العديم، 2016م، ج 4، ص 557)، وسنة 519هـ/1125م (ابن العديم، 2016م، ج 4، ص 557؛ ابن العديم، 2010م، ص 61-62؛ ابن العديم، 2016م، ج 10، ص 364).

وقد نقل ابن العديم نصوص ابن اللعبيّة جميعها من نسخة أطلع عليه، وكانت عنده، وأرجح أنه أخذه من أسرة ابن اللعبيّة، أو من مكتبة أحد الأدباء في حلب وشمال الشام الذين اهتموا بحفظ تراث بلدهم، وكانت تلك النسخة بخط ابن اللعبيّة، أي أنه أخذ من أصل الكتاب بعد أن تأكد أنه بخط مؤلفه، ولذلك كان دائم التأكيد على أن ما ينقله بخط ابن اللعبيّة، وذلك لرفع قيمة المنقول علمياً؛ لأن العلماء في ذلك العصر كانوا يفضلون الرواية المسندة سماعياً للكاتب على الوجدادة، التي هي أن يجد العالم كتاب عالم سابق عليه فينقل عنه، ويجعل العلماء هذه الطريقة إسناداً غير قوي للخبر (ابن كثير، 2008م، ص 71-72)، لذلك أكد ابن العديم أن الكتاب بخطه ليرفع من مصداقية ما ينقله عنه، وهذا الأمر يؤكد أن كتاب ابن اللعبيّة لم يرو عنه؛ لأن ابن العديم كان يفضل الاعتماد على الكتب بإسناده إليها، ولكن كتاب ابن اللعبيّة لم يروه أحد، فاضطر لاعتماد طريقة الوجدادة فيما نقله من أخبار عنه.

وشملت تلك السنوات الباقية من كتاب ابن اللعبيّة الحديث عن قيام شرف الدولة مسلم بن قريش (ت 478هـ/1085م) ملك العرب، وأمير الموصل وحلب بقمع تمرد أهل الرحبة في شمال الشام عليه، وأخذه رهائن أهلها إلى الموصل، وتسليم إدارتها لوالٍ جائر، والشعر الذي قيل في جوره، وذلك في سنة 576هـ/1083م.

وفي حين تناول في سنة 486هـ/1092م خبر وفاة الوزير السلجوقي نظام الملك الطوسي، ونبذة عن سيرته وأبيات الشاعر الأبيوردي (ت 507هـ/1113م) في هجاء الوزير، واستدعاء الوزير له، وقيامه بإكرامه بدلاً من معاقبته، وتذكير الوزير للشاعر بأفضاله السابقة عليه مما دفع الشاعر للاعتذار.

وتضمن حديثه في سنة 503هـ/1109م حديثاً عن طرائف قاضي حمص السيد علي بن هندي (ت 517هـ/1123م) وحمقه، وتحدث في هذا الشأن عن مثال بالرواية عنه من شاهد رأى بعض تصرفاته الحمقاء، وأكد ابن اللعبيبة أنه شاهده بنفسه، فوجد حمقه يزيد على ما ذكر وحكي عنه، ويبدو أنه ذكر هذه الحادثة ضمن أواخر سنة 503هـ/1109م نموذجاً للطرائف والأدب. وتناولت النقول عنه أيضاً أخبار زيارته لبغداد سنة 515هـ/1121م، وسماعه على الشريف أبي الكرم بن الوزان الحلبي فيها، وذكر نموذجاً من مروياته الأدبية عنه، وذكر في ذلك مقطوعة شعرية له، وأورد في السنة نفسها مقطوعات شعرية نقلت عن أبي السداد الجزري.

وتضمنت سنة 517هـ/1123م أخباراً عن دخوله لحمص، وقيام جيش دمشق بالإغارة عليها، وتدمير زروعها، ثم يتحدث عن قصص تتعلق بحمق أهل حمص أثناء الغارة عليها، وتأكيد ابن اللعبيبة على أن حمق أهل حمص فاق ما ذكرته المصادر عنهم. وشغلت سنة 519هـ/1125م السنة الأكثر أخباراً، وأكثرها مواد تاريخية، حيث بدأها بوصول حملة آق سنقر البرسقي أمير الموصل (ت 520هـ/1126م) إلى حلب لفك حصار الإفرنج الصليبيين عنها، وانهزام الإفرنج منه، وانتهاء الحصار، وغنائم أهل حلب من معسكر الأفرنج، وعدم قيام البرسقي بمتابعة الإفرنج، وإلا لكانت هزيمتهم فادحة، وخسائرهم كبيرة، وقال أثناء هذا الحديث أن الفرنج نزلوا على حلب لحصارها سنة 518هـ/1124م، مما يوحي أنه أرخ لسنة 518هـ/1124م، وربط الحديث في هذه السنة ليحدث وحدة للموضوع.

وتحدث في هذه السنة بخبر آخر عن وصول رسل حمص إلى البرسقي حاكمها الجديد مع بعض القضاة في إطار تنسيق الجهود ضد الإفرنج الصليبيين، واستغلال ابن اللعبيبة الفرصة للسؤال عن ولده الذي تركه نائباً له على مخازن الأهرار في حمص، وعدم قدرة القضاة على الكلام السليم معه.

وذكر أخيراً في هذه السنة خيراً أخبره به أحد القادة من أهل المعرة عن مناديه بين ثلاثة من الشعراء الطرش، ودعوتهم ليشاركهم في منادمتهم أديب وشاعر أعمش ليكتمل بذلك مجلس المصابين بالعاهات مع ما في القصة من طرفة وفكاهة استخدمها ابن اللعبيبة في هذا الإطار.

وأما النصوص الباقية، فإنني أوردتها هنا نصاً لتجتمع النصوص الباقية من كتابه في مكان واحد ليسهل على الدارسين الرجوع إليها؛ ولأن هذه النصوص هي التي تقوم عليها الدراسة كاملة، والنصوص حسب ترتيبها على السنوات هي:

1- قرأت بخط عبد المنعم بن الحسن بن اللعبيبة: حدثني الشيخ أبو الحسن علي بن إبراهيم الناطلي ببغداد، قال: كان شرف الدولة أبو المكارم مسلم بن قريش نصر الله وجهه وروى رسمه، وأخذ رهائن أهل الرحبة وحملهم إلى الموصل وفي جملتهم أبو المجد بن سرطان، وتخلف بها أخوه أبو الرجاء سعد، فأئشدني أبو محمد بن ظافر بن البناء الرحبي لنفسه:

ما نِلْتُ مُدَّ غَابَ أَبُو الْمَجْدِ	سَعْدًا سَيَوَى التَّقْبِيلِ مِنْ سَعْدِ
وَحَلَّتْ أَنْي مُشْتَفٍ بِاللَّمَى	فَرَأَيْتَنِي وَجَدًا عَلَى وَجْدِ
مَنْ مُنْصِفِي مِنْهُ وَأَحْوَالُهُ	قَوَاعِدٌ لِلْحَلِّ وَالْعُقْدِ
وَجَدُهُ الْقَاضِي فَمَنْ ذَا الَّذِي	يُعْدِي إِذَا مَا جُنْتُ أَسْتَعْدِي
أَبُو الرَّجَاءِ أَرْجُو عَلَى جَوْرِهِ	وَالجَوْرُ شَأْنُ الْعَلْمَةِ الْمُردِ (ابن العديم، 2016م، ج19، ص508).

2- قرأت بخط عبد المنعم بن الحسن بن اللعبيبة في دستور جمعه قال الفقيه الأبيوردي يهجو خواجه بزرگ وزير السلطان ملك شاه رحمه الله، وهو الوزير أبو علي الحسن بن إسحق:

لا عَرَوْ أَنْ وَرَرَ ابْنَ إِسْدِ	حَاقَ وَسَاعَدَهُ الْقَدْرُ
وَصَفَّتْ لَهُ الدُّنْيَا وَحُ	صَّ أَبُو الْعَنَائِمِ بِالْكَدْرِ
فَالدَّهْرُ كَالدُّوْلَابِ لَيْدِ	سَ يَدُورُ إِلَّا بِالْبَقْرِ

ولما تمت هذه الأبيات إلى الوزير رحمه الله استدعى الأبيوردي وكانت أبياديه عنده جمعة، وله عليه رسوم في كل سنة لها قيمة كبيرة، فلما مثل بين يديه قال له: يا هذا بم استوجبت منك أن تهجونني تعصباً لعدي علي؟ وهذا أبو الغنائم الذي ذكره هو تاج الملك عدو الوزير، فأنكر أن هذا شعره، فقال له الوزير: إن لزمك الإنكار أحضرت من أنشدنيها، فوافقك عليها، ومع هذا فأنت تعلم مالي عندك من الأبياد التي لا تذكر، وما كنت تسألني فيه من الحوائج التي تؤخذ عليها الأموال مع الرسوم، فلاذ الفقيه بالعدر، واعترف أنها من جملة غلطاته التي لا تستقال، وعثراته القبيحة، فقال له الوزير: لا شك أن الرسوم التي لك لا تكف ولا تكفي، وقد تقدمت بأضعافها لك، فاقبضها ولا تغلط بعد ذلك (ابن العديم، 2016م، ج5، ص645).

3- قرأت بخط عبد المنعم بن الحسن بن اللعبيّة الحلبي: "حكى لي أبو غانم، عشائر بن كامل، من أهل معزة النعمان، أنه اجتاز بحمص، سنة ثلاثة وخمسمئة، وقد طهر القاضي السديد، جمال القضاة، أبو الحسن علي بن هندي، ابنة له، وعبرت في سوق حمص، راكبة على فرس، على مخدة فوق السرح، ومن خلفها راكب يمسكها، وقدامها البوقات والطبول، وغير ذلك مما يكون في يدي المطهرين.

فرايت إثبات هذه النكته، وكنا بحمص، فمن قرأها فليعتبر.

وشاهدت هذا القاضي، فوجدت رتبته تزيد على ما ذكره وحكاه، أعادنا الله ممّا ابتلاه (ابن العديم، 2010م، ص 61).

4- قرأت بخط ابن اللعبيّة: أنشدني الشريف أبو الكرم بن الوزان الحلبي ببغداد في المحرم سنة خمس وخمسين وخمسمائة: [من الطويل]

شَكَوْتُ فَقَالَتْ: كُلُّ هَذَا تَبْرُمًا حُبِّي أَرَاكَ اللهُ قَلْبَكَ مِنْ حُبِّي
فَلَمَّا كَتَمْتُ الْحُبَّ قَالَتْ: لَشَدَّ مَا صَبِرْتُ وَمَا هَذَا بِفِعْلِ شَجِي الْقَلْبِ
وَأَدْنُو فَنُقْصِيْنِي فَأَبْعُدُ طَالِبًا رِضَاهَا فَتَعْتَدُ النَّبَاعِدَ مِنْ ذُنْبِي
فَشَكْوَايَ تُؤْذِيهَا وَصَبْرِي يَسْرُهَا وَتَجْرَعُ مِنْ بُعْدِي وَتَنْفُورُ مِنْ قُرْبِي

فيا قوم هل من جيلة تعرفونها أشيروا بها واستنجبوا الأجر من ربي (ابن العديم، 2016م، ج 10، ص 42).

5- قرأت بخط عبد المنعم بن الحسن بن الحسين بن اللعبيّة أي الفضل الحلبي، قال: لأبي السداد الظاهر الجزري أنشدنيها الشيخ الأديب/ أبو الفضل جامع بن علي بالجزيرة، في جمادى الأولى من سنة خمس عشرة وخمسمائة:

أَيَا حَلَبَ الْعَرَاءِ وَالْمَنْزِلَ الرَّحْبُ وَيَا بَلَدًا قَلْبِي بِتَذْكَارِهِ صَبُّ
لَنْ بَانَ جِسْمِي عَنْ مَعَالِمِ رَبْعِهَا فَمَا بَانَ عَنْ أَطْلَالِ سَاحَتِهَا الْقَلْبُ
عَلَامٌ أَسْلَى النَّفْسَ عِنْدَكَ وَفِيكَ لِي عَلَانِيٌ مِنْهَا هَدَى مُهْجَتِي الْحُبُّ
هَوَاؤُكَ لَوْلَا صِحَّةٌ فِي هُبُوبِهِ وَمَاؤُكَ لَوْلَا أَنَّهُ بَارِدٌ عَذْبُ (ابن العديم، 2016م، ج 9، ص 415).

6- ونقلت من خطه أيضاً:

دخلت إلى حمص في شهر رمضان، سنة سبع عشرة وخمسمئة، وهي السنة التي نزل عليها فيها صاحب دمشق، ورعى زروعها، وخرّب حصونها.

فحكى لي رجل يُعرف بعبد الواحد بقّة من أهل حمص، يخدم ملكها صمصام الدين:

أن أحد أهلها، لما نزل العسكر عليها، وأجفل الناس، واشتغلوا عن قماشهم، إلا ما خفّ منه، كان في الليل يدور - ومعه زقّ - على دور الناس، فيحمل من النبيذ ما وجده، ويعود إلى بيته، فيصبّه في البئر، إلى أن تقل ما يزيد على ثلاثمئة خابية منه! فلما رحل العسكر عنها، وعاد الناس إلى منازلهم، وفقدوا النبيذ، وتحدث بعضهم مع بعض، فهذا يقول: أخذ لي من داري خمس خوابي نبيذ، وهذا يقول: أخذ لي ثلاث، وهذا يقول أكثر، وذاك أقل.

فقال ذلك السيد لجيرانه: عندي من النبيذ، ما أبيعكم منه سنة؛ لا تشعلوا قلوبكم، وهو ممزوج.

فقالوا له: إنّنا نخاف عليه أن يحمض ويتغير لأجل مزاجه، فأرنا منه شيئاً.

فاستقى لهم من البئر بالذلو، وحمله إليهم، فشربوه، وإذا هو ماء.

فقالوا له: ما هذا؟ فحدثهم، فضحكوا منه، وقال: تعبنا وأفسدنا صومنا، ولم نريح شيئاً.

فتحققت ما ذكره الجاحظ وغيره من فساد عقول أهل حمص، وأضفتها إلى خبر القاضي (ابن العديم، 2010م، ص 61).

7- ونقلت من خط عبد المنعم بن الحسن بن اللعبيّة الحلبي: دخلت سنة تسع عشرة وخمسمائة، ووصلت العساكر من الشرق، ومقدمها آق سنقر البرسقي، وكان الإفرنج نزلوا على حلب في شهر رمضان سنة ثمان عشرة وخمسمائة، وحاصروها،

وضيقوا على أهلها، ومضى القاضي ابن العديم والأشراف، وقوم من مقدمي أهلها مستصرخين؛ لأنه ما كان بقي من أخذها شيء، فوصل البرسقي معهم في محرم سنة تسع عشرة وخمسمائة، ونزل بالس. وكانت رسله مذ وصل الرّحبة متواترة إلى حمص ودمشق يستدعي مالكةا، وسار الأمير صمصام الدين عن حمص في أول ربيع الأول، فلقي الأمير قسيم الدولة البرسقي بتل السلطان بعد انفصاليه عن حلب، وانهازم الإفرنج عنها، وكان سرى إليهم من بالس، ووصل إلى حلب، وخرج أهل حلب ونهبوا من خيام الإفرنج مقدار المائة خيمة من على جبل جوشن، وما بقي من هلاكهم شيء، لكن الله أمسك أيدي الترك عنهم بمشيئته (ابن العديم، 2016م، ج 4، ص 557).

8- وقرأت بخطه:

وصل من حمص الحاجب إبراهيم، رسولاً من مالكا إلى حلب، في شعبان، سنة تسع عشرة وخمسة، وصحبته بعض قضائتها، فمضيت إليه أفنقه وأقضي حقه، وهو في دار الضيافة، فوجدته راكباً، والقاضي في الدار، فسلمت عليه، وهنأته بالسلامة، وسألته عن ولد لي خلفته بحمص، ينوب عني في حفظ الأهرام بها، فقال: هو على جملة السلامة في شغله كما تعرف، فقلت: قد عرفت ذلك؛ لكنه لا فائدة له ولا جامكية، وهذا صعب شديد، فقال: وقد عرفت ما هو عليهم - بإعراب - فقلت: ما قلت يا مولاي القاضي؟ فقال: قد عرفت ما هو عليهم، ثانية.

ففكرت، فإذا هو يريد: ما هم عليه، ولا فرق عنده بين اللفظين.

فرأيت أن أثبتّها في (التذكرة)، وأضيفها إلى خبر القاضي السديد وطهور ابنته، وهذا ما نقلته من خط ابن اللعبيّة (ابن العديم، 2010م، ص 61-62).

9- نقلت من خط عبد المنعم بن الحسن بن الحسين بن اللعبيّة الحلبي، في مجموع له علّق فيه فوائد، قال: حكى لي القائد أبو اليمن بن أبي خريبة من أهل معرة النعمان، ونحن نتصرف في جبل السماق في شوال سنة تسعة عشر وخمسة، قال: كان عندنا بالمعرة من بني عمرو أخوان الواحد يُكنى بأبي الفتح، والآخر أبي البركات، وكانا أطروشين يعاشران من أهلها عبد المنعم بن الأصفر، وكان أيضاً أطروشاً، ويتنادمون على الشراب، فكتب أبو الفتح بن عمرو إلى الناظر الشاعر، وكان أعمش: [من الوافر]

أنا وأخي أبو البركات عندي
فسرّ لنجيب عنّا سائلينا
وعبدُ المنعم الخُلُ المصافي
ونُبصرَ نحنُ دونك من يوافي (ابن العديم، 2016م، ج10، ص 364)
ميوله:

لم تسعف ترجمته في ابن عساكر، ولا البقايا الناجية من كتابه في المصادر الأخرى في تحديد ميول واضحة لابن اللعبيّة، لكن الواضح أنه كان سني المذهب من أنصار الدولة السلجوقية، إذ يترجم على سلاطين الدولة إذا ذكروهم، وكذلك على الأمير مسلم بن قريش، وهي إشارات دالة على مواقفه المؤيدة للدولة السلجوقية وقادتها، وما عدا هذه الإشارات لا يمكن تحديد ميول أخرى له بسبب فقدان ترجمته في العديد من المصادر، وقلة البقايا الناجية من كتابه بحيث لا يمكن أن تشكل صورة واضحة عن ميوله، واتجاهاته.

طريقة ترتيب ابن اللعبيّة لكتابه ونطاقه الجغرافي:

إن عدم ذكر المصادر لمصنف ابن اللعبيّة، وحديثها عنه، يجعلنا أمام استنتاج إجباري للنصوص الباقية في محاولة لفهم طريقة ابن اللعبيّة في ترتيب كتابه، وهنا يجب أخذ النص الأول من سنة 519هـ/1125م بكثير من العناية والانتباه حيث هو دال بشكل لا يحتمل اللبس على منهج ابن اللعبيّة في ترتيب كتابه، وجاء نقل ابن العديم لهذا النص على النحو الآتي "ونقلت من خط عبد المنعم بن الحسن بن اللعبيّة الحلبي: دخلت سنة تسع عشرة وخمسة، ووصلت العساكر من الشرق"، وهو نص واضح في أن ابن اللعبيّة رتب كتابه على طريقة الحوليات المرتبة على السنين، وهو ما يؤكد النص السابق، ومجموع النصوص الباقية تشير إليه وتعرّضه، وليس لدينا إشارات أخرى توضح طريقة اعتمدها ابن اللعبيّة غير هذه الطريقة لترتيب كتابه.

وأما عن النطاق الزمني للكتاب، ولا نملك سوى البقايا الموجودة لتدلنا على نطاق الكتاب، وأقدمها يعود لسنة 476هـ/1083م، وآخرها يعود لسنة 519هـ/1125م، وأرجح أن الكتاب يبدأ في حدود هذه السنة أو التي قبلها في إطار تذييل ابن اللعبيّة على ذيل أبي غالب همّام بن الفضل، وتداخلت فيما يبدو بعض السنوات بينهما، وهو ما تؤكد بقايا الكتاب.

والواضح أن النطاق الجغرافي للكتاب ركز على شمال ووسط بلاد الشام، ونادراً ما يخرج عن هذه الجغرافية إلا لسبب مرتبط بشخصه وتقلّباته بين المدن المتعددة، فيظهر في كتابه إقليم حلب، وحمص بشكل أساسي، ولا نجد لديه أي إشارات عن دمشق رغم أنه زارها، والراجح أن كتابه لو احتوى على إشارات لدمشق لحرص مؤرخ دمشق وحافظها ابن عساكر على الاطلاع عليه، والنقل عنه، كما فعل مع غيره من معاصريه من الشمال الشامي، وبناء على هذا الترجيح نجد أننا أمام كتاب يعد من التواريخ الخاصة المختصة بمنطقة محددة في حقبة زمنية محددة، لذلك جاءت جميع النقول عنه ضمن هذا الإطار.

موارد ابن اللعبيّة في كتابه:

إن فقدان تاريخ ابن اللعبيّة يجعل فكرة مناقشة وتبيان موارده محفوفة بالكثير من المعوقات؛ لأن النتف الباقية من الكتاب لا تقي في أحيان كثيرة لإعطاء فكرة حقيقية ومعتبرة عن تلك الموارد، غير أننا سنحاول تبيان موارده من خلال البقايا التي وصلتنا

منقولة عنه، لذلك نستطيع تقسيم موارده إلى قسمين أساسيين حسب الذي تتيحه النقول عنه: الأول- الموارد الشفوية، وهو موارد استخدمها فيما لم يشاهده، أو لم يعاصره من أحداث، ولعل الموارد التي نقل عنها شفوياً حسب البقايا عن رواة هم:

- 1- أبو الحسن علي بن إبراهيم الناطلي الحلبي التاجر (ت 517هـ/1123م) (ابن ناصر، 1993، ج1، ص 313)، إذ روى عنه رواية واحدة تتعلق بمسلم بن قريش العقيلي (ابن العديم، 2016م، ج9، ص 508).
- 2- أبو غانم عشائر بن كامل المعري، الذي لم نجد عنه أي معلومة، وروى عنه رواية واحدة (ابن العديم، 2010م، ص61).
- 3- عبد الواحد المعروف ببقة من أهل حمص، وأحد خدم أميرها خير خان بن قراجا، ولم نجد عنه أي معلومات، وروى عنه رواية واحدة (ابن العديم، 2010م، ص61).
- 4- القائد أبو اليم بن أبي خريبة المعري، ولم يذكره أحد سوى ابن اللعبيبة، وروى عنه رواية واحدة (ابن العديم، 2016م، ج10، ص364).

الثاني "المشاهدات الشخصية"

إضافة إلى موارده الشفوية، فقد كانت مشاهدات ابن اللعبيبة أساساً في كتابه، وأكد على هذه المسألة بقوله في أحد الأخبار "وشاهدت هذا القاضي" (ابن العديم، 2010م، ص61). وهو في حديثه عن حصار حلب، وقيام آق سنقر البرسقي بفك الحصار عنها شاهداً للحادث، وتفصيله (ابن العديم، 2016م، ج4، ص 557).

منهجه:

ذكرنا - فيما سبق - أن ابن اللعبيبة استخدم طريقة الحوليات منهجاً لترتيب كتابه بناء على بقايا الكتاب الموجودة في المصادر الأخرى، والواضح أنه كان يهتم بترتيب أخباره داخل السنوات بناءً على الأشهر، فيبدأ بالأحداث من شهر المحرم، وينتهيها بشهر ذي الحجة، ويهتم بتبيان تاريخ اليوم من الشهر للحادثة التي يؤرخها إن استطاع ذلك، ولعل أوضح الأمثلة على ذلك قوله: "دخلت سنة تسع عشرة وخمسائة ووصلت العساكر من الشرق" (ابن العديم، 2016م، ج4، ص 557)، وقوله: "وكان الإفنج نزلوا على حلب في شهر رمضان سنة ثمان عشرة وخمسائة" (ابن العديم، 2016م، ج4، ص 557).

وركز ابن اللعبيبة على جغرافية الأحداث، أو جغرافية الراوي الذي ينقل عنه الرواية لحظة الرواية. فيقول: "ونحن نتصرف في جبل السماق" (ابن العديم، 2016م، ج10، ص 364)، وقوله: "أنشدنيها الشيخ الأديب أبو الفضل جامع بن علي بالجزيرة" (ابن العديم، 2016م، ج9، ص 451).

وامتاز ابن اللعبيبة انسياقاً لعدم رغبته في تبيان عوامل التراجع عند المسلمين بعدم تعليل الأسباب، وإنما توجيه المسألة إلى القدر، وهو بهذا من المؤرخين الجبريين المعلقين للأسباب بالمشيئة الإلهية، ولعل أوضح الأمثلة على ذلك قوله عن عدم قيام البرسقي باستغلال هزيمة الفرنجة الصليبيين أمامه في حلب، ومتابعة فلولهم للقضاء عليهم بقوله: "وما بقي من هلاكهم شيء، لكن الله أمسك أيدي الترك عنهم بمشيئته" (ابن العديم، 2016م، ج4، ص 557).

واعتمد في منهجه الاهتمام بألقاب ومناصب من يتحدث عنهم فقال عن مسلم بن قريش أمير حلب وموصل: "شرف الدولة أبو المكارم مسلم بن قريش" (ابن العديم، 2016م، ج9، ص 508)، وعن خير خان أمير حمص: "مصمما الدولة" (ابن العديم، 2010م، ص61)، وعن قاضي حمص: "القاضي السديد، جمال القضاة" (ابن العديم، 2010م، ص 61)، وعن حاجب حمص: "الحاجب إبراهيم" (ابن العديم، 2010م، ص 62).

أهمية كتابه:

تتبع أهمية بقايا كتاب ابن اللعبيبة، وما احتوته من معلومات في أنه أرخ لشمال بلاد الشام ووسطها لمدة تزيد على النصف قرن حسب الباقي معتمداً في ذلك على مشاهداته الشخصية، وعلى مرويات محلية لشمال بلاد الشام فيما لم يعاصره، وعلى ما وصل إليه من أخبار عن حوادث شمال بلاد الشام من أشخاص شاركوا بها.

وتأتي أهمية الكتاب أيضاً أنه من المؤرخين الشاميين الأوائل الذين تحدثوا عن الفرنج الصليبيين في تاريخه، وامتاز كتابه بأنه كان شاهد عيان للحملة الفرنجية الصليبية الأولى، وما تلاها من أحداث، وامتاز بمعرفته بكنه الحركة الصليبية منذ البداية، وسمى أصحابها فرنجة، ولم يشتبه عليه أنها بيزنطية.

وتميز كتابه بأنه من أوائل المؤرخين الشاميين الذين تحدثوا عن الدولة السلجوقية، ونشاط قادتها في شمال بلاد الشام ووسطها، ويبدو موقفه إيجابياً تجاهها، وتجاه قادتها، مع تأكيد الاهتمام بأخبار الأمراء العرب من قادة الدولة السلجوقية.

واحتوى كتاب ابن اللعبيبة على معلومات ذات قيمة عالية من مناصب إدارية في حلب، وحمص، كما يحتوي على معلومات ذات قيمة عالية عن أدياء عصره وحفظ مقطوعات شعرية لهم لم ترد عند غيره.

الخاتمة:

نخلص مما سبق مجموعة النتائج، أهمها:

- إن ابن اللعبيبة مؤرخ وأديب حلبي عاش في حلب ما بين النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، والرابع الأول من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.
- أن ثقافة ابن اللعبيبة لم تخرج عن ثقافة مجتمعه الحلبي؛ لذلك اهتم بالتاريخ انسياقاً وراء الاهتمام الحلبي، وبسبب خطورة الأوضاع السياسية والعسكرية التي كانت تتعرض لها حلب في عصره.
- قام ابن اللعبيبة بتصنيف كتاب في التاريخ، بقي محفوظاً ومعروفاً حتى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.
- اعتمد ابن اللعبيبة في تاريخه طريقة الحوليات منهجاً أساسياً لترتيب كتابه، واعتمد فيه على مشاهداته الشخصية، والروايات الشفوية لما لم يشاهده من أحداث.
- اشتمل كتاب ابن اللعبيبة حسب البقايا الناجية منه على التأريخ لنصف قرن، واشتمل على معلومات قيمة إدارية، وعسكرية، وأخبار الصليبيين، وأخبار بعض العلماء مما يجعل كتابه على غاية من الأهمية لفهم تصورات المسلمين عن الفرنج الصليبيين، وعن أحداث القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين.

المصادر والمراجع

- الدعجاني (2001م)، طلال بن سعود، موارد ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.
- دوزي رينهارت (1999م)، تكملة المعاجم العربية، ترجمة: جمال الخياط، وزارة الثقافة، بغداد.
- الذهبي (2003)، محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/1374م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- سبط ابن الجوزي (2013م)، يوسف بن قزأوغلي (ت 654هـ/1256م)، مرآة الزمان، تحقيق: إبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- السمعاني (1975م)، عبد الكريم بن محمد (ت 563هـ/1166م)، التحبير في المعجم الكبير، تحقيق: منيرة ناجي سالم، مطبعة الإرشاد، بغداد.
- السلفي (1993م)، أبو طاهر أحمد بن محمد (ت 576هـ/1176م)، معجم السفر، تحقيق: عبدالله البارودي، دار الفكر، بيروت.
- شاكر مصطفى (1979م)، مدرسة الشام التاريخية من قبل ابن عساكر ومن بعده، بحث منشور في كتاب الاحتفال بمرور تسعمائة عام على ولادة ابن عساكر، وزارة التعليم العالي، دمشق.
- الصفدي (2000م)، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ/1363م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت.
- عباس (1998م)، إحسان، شذرات من كتب مفقودة، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- ابن العديم (1954م)، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت 660هـ/1261م)، زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي، دمشق.
- ابن العديم (2010م)، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت 660هـ/1261م)، تذكرة ابن العديم، تحقيق: إبراهيم صالح، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي.
- ابن العديم (2016م)، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت 660هـ/1261م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: مهدي الرواضية، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن.
- العريني (1965م)، الباز، مؤرخو الحروب الصليبية، دار النهضة العربية، القاهرة.
- ابن عساكر (1995م)، أبو القاسم علي بن الحسين (ت 571هـ/1175م)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عمر بن عرامة العمروي، دار الفكر، بيروت.
- العظيمي (1984م)، محمد بن علي الحلبي (ت 556هـ/1161م)، تاريخ حلب، تحقيق: إبراهيم زعرور، دون ناشر، دمشق.
- عقلة (2014م)، عصام، المؤرخ أبو المحاسن يحيى بن علي الشهير بابن زريق (442-509هـ/1051-1115م) وكتابه في التاريخ، بحث منشور في المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، وزارة التعليم العالي، عمان، مجلد 8، ع 2.

عقلة (2017م)، عصام، زيارة العلماء للقدس في ظل الاحتلال الفرنسي الصليبي، بحث منشور في المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، وزارة التعليم العالي، عمان، مجلد 11، ع 3.

ابن القلانسي (1983م)، حمزة بن أسد (ت 555هـ/1160م)، تاريخ دمشق، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق.

ابن كثير (2008م)، إسماعيل بن عمر (ت 774هـ/1373م)، الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث، الشركة الجزائرية اللبنانية، الجزائر.

ابن ميسر (1981م)، محمد بن علي (ت 677هـ/1378م)، المنتقى في أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة.

ابن ناصر الدين (1993م)، شمس الدين محمد بن عبدالله الدمشقي (ت 842هـ/1438م)، توضيح المشتبه، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

Cohen (1940), La Syrie du nord Epoques croisées, Paris

The Historian Ibn al-Loaiba and his Book in History

*Issam Okleh **

ABSTRACT

The Purpose of this study is to try to research the personality of the Shami historian Abd al-Mounaim bin Hassan famous as Ibn al-Loaiba and his book in history, and to show his personal status and culture, and try to identify his book in history through the reminder of the book in the subsequent sources, and to know the temporal and geographical scope of his book, and the issues discussed, and its resources, methodology, and the value of his book for the studies of Al-Sham in general, and the Crusader studies especially Crusader, and the extent of what he introduce to the history of the Fernj thr Crusaders in the Levant.

Keywords: Ibn al-Loaiba, History of Resource's, Fernj, Levant.

* Department of History, The University of Jordan. Received on 26/3/2019 and Accepted for Publication on 3/6/2019.